**المحاضرة الخامسة : سيسولوجيا الاستخدام والتملك**

**تقديم**

من الواضح أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة تتغلغل في النسيج الثقافي العالمي ليس عدة تقنية فحسب بل كممارسة اجتماعية وثقافية بحيث أصبح البحث فيها والتنظير لها أمرا يزداد أهمية مع تطور وسائل الاتصال والاعلام، ومن هذا المنطلق فقد ارتكزت البحوث العلمية حول وسائل الاتصال الحديثة على نموذجين تفسيريين النموذج الأول: ويتمثل في الحتمية التكنولوجية، والذي ينطلق من قناعة أن قوة الأدوات التكنولوجية المتجددة والمتطورة هي وحدها المالكة لقوة التغيير في الواقع الاجتماعي، أما النموذج الثاني: ويتمثل في الحتمية الاجتماعية التي ترى أن البنى الاجتماعية هي التي تتحكم في محتويات التكنولوجيا وأشكالها، أي أن القوى الاجتماعية المالكة لوسائل الإعلام هي التي تحدد محتواها. والحاجة الآن ملحة إلى البحوث النوعية التي تتعمق في دراسة الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجية الاتصال الحديثة والتي تنطلق من النموذجين كمرتكز بحثي شامل.

**1 سيسيولوجيا الاستخدام...اشكالية المفهوم**

إن مفهوم الاستخدام قد اتخذ عدة اتجاهات مشكلا محورا مهما في سيسيولوجيا الاستخدام، حيث يؤكد بيار شومبار chambat pierre أنه من الصعب الوصول إلى تعريف محدد للاستخدام نظرا لتداخل التخصصات التي ساهمت في تشكيل المفهوم، ومفهوم الاستخدام يختلف من وجهة نظر هذا الباحث حسب المتغيرات التالية: حسب وضعية الاستخدام ( الاستخدام المنزلي أو المهني ) حسب نوعية التكنولوجيا ( الوسيط ) حسب نوع الممارسة ( لعب، عمل، تسيير منزلي، اتصال شخصي) حسب أشكال الاتصال ( فرد- فرد أو فرد- ألة ) أما من وجهة نظر سيرج برولكس Proulx Serge يتضمن مفهوم الاستخدام على الصعيد الاصطلاحي معنين أساسيين: المعنى الأول يحيل إلى الممارسة الاجتماعية التي تجعلها الأقدمية والتكرار شيئا مألوفا وعاديا في ثقافة ما، وبهذا فإنها تقترب من العادات والطقوس، أما المعنى الثاني فإنه يحيلنا إلى استعمال شيء ما سواء كان ماديا أو رمزيا لغايات خاصة، وهذا ما يدفع إلى التفكير في الاستخدام الاجتماعي للعدة التكنولوجية الذي يحفز على التفكير في دلالته الثقافية المعقدة في الحياة اليومية.

**بدايات ظهور سيسيولوجيا الاستخدام :**

الارهاصات الأولى لدى المدرسة الانغولوسكسونية والذي تمحور حول حقل علم الاجتماع الاتصال بالولايات المتحدة الأمريكية في ستينات القرن الماضي والذي لامس في فرضياته منظور الاستخدامات والاشباعات والتي كانت تمثل جوهر الدراسات الاعلامية آنذاك، أما الدراسات الفعلية فقد بدأت في اوروبا حيث نما تقليد دراسات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) في فرنسا في بداية الثمانينيات، من منطلق التحليلات الاجتماعية التي تصف "ما يفعله الناس فعليًا بالأشياء التقنية" مثل مسجل الفيديو، وجهاز التحكم عن بعد في التلفزيون، والمنزل. الحوسبة أو جهاز الرد على المكالمات الهاتفية، وحول تقييم التجارب الاجتماعية الأولى مع Minitel أو الكابل أو الهاتف المرئي . تبلور هذا التقليد حول موضوع مفاهيمي أول يوضح الفئات التحليلية للاستخدام والممارسة والتمثيل

والسياق ( اجتماعي أو ثقافي أو سياسي). وقد اعتمد بشكل خاص نظريًا على مساهمات ميشيل دي سيرتو في دراسة ''طرق عمل الأشياء''.

وفي ما فيما يخص نشأة بحوث استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال عموما فقد قدم الباحثان غيبري جوري وبرولكس Jauré Proulx et Guiberry تقسيم لبحوث الاستخدام حسب تطورها التاريخي إلى مرحلتين: المرحلة الأولى التي تمتد من 1980 إلى ،1995 المرحلة الثانية تمتد من 1995 إلى ،2010 مؤكدين على أن كل فترة تميزت بترسانة مفاهيمية خاصة، حيث تميزت الفترة الأولى من بحوث الاستخدام بظهور ثلاث مصطلحات أساسية رافقت التفكير حول تملك التقنية وسمحت بهيكلة أبحاث سيسيولوجيا الاستخدام للجيل الأول :استخدام التكنولوجيا، ممارسة الأفراد والجماعات، التصورات حول التقنية، السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي للاستخدام، وقد أكد الباحثان أن الأعمال التي ميزت الفترة الأولى قدمت إضاءات مهمة على بعض جوانب الاستخدام، لكنها ظلت محصورة في حقل السيسيولوجيا، وبعيدة عن الأبحاث الدولية مما إلى الانفتاح على منهجيات وأطر نظرية مغايرة، أما الفترة الثانية فقد تمركزت بحوث الاستخدام حول خمس اشكاليات الاستخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال: التفاعل بين المستخدم والآلة التقنية، التنسيق بين المستخدم والمصمم، تموضع الاستخدام ضمن الحياة اليومية، الأداة التقنية المهيكلة للمعايير السياسية والأشكال السيسيوتاريخية للاستخدام.

**حقل سيسيولوجيا استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة– حضور البدايات:**

**– تيار الاستقلالية الاجتماعية:** لقد كانت إشكالية الاستقلالية الاجتماعية وتصاعد الفردانية أولى أعمال سيسيولوجيا الاستخدام، حيث سعت البحوث لإظهار أن الفرد يكتسب أدواته من أجل التوجيه الذاتي لفعل الاستخدام، كالبرمجة الإعلامية التي قد يقوم بها بعض الهواة، استغلال بعض الخدمات المفيدة على الشبكة وتحويلها إلى فضاءات للتسلية، والذي أصبح منطلقا لما يعرف في العصر الرقمي بصناعة المحتوى .

**– منظور الاستخدامات والاشباعات:** مصطلح استخدام وسائل الإعلام ليس بالمصطلح الحديث، فلقد تم وضعه منذ سنوات الستينات ضمن البحوث الامبريقية الانجلوسكسونية مع تيار الاستخدامات واالاشباعات، بالتأكيد على اختلاف الاحتياجات والتوجهات والرغبات في استخدام التكنولوجيا. وبالرغم من أن منظور الاستخدامات والاشباعات لم يكن عمل حاسم ومؤثر ومباشر في ظهور حقل سيسيولوجيا الاستخدام إلا أنه ساعد في نقل ميدان البحث من التأثير نحو التلقي

**– المدرسة الثقافية:** الدراسات الثقافية ساهمت في تعميق مفهوم الاستخدام بدراسة ثقافة المجتمعات الصناعية المعاصرة آخذة بالحسبان الكثافة الاجتماعية للاستخدام، ألن التلقي قد أصبح نشاط معقد يحرك مصادر ثقافية ويقود إلى تشكيل ذاتي للمعاني " عملية تأولية مصدرها المتملك للوسيلة "، الدراسات الانجلوسكسونية حول استخدام التكنولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام والاتصال سجلت ضمن تدرج هذا التيار مؤكدة أن الاستخدام يتأثر بعوامل اجتماعية وثقافية مشكلة النظام الثقافي المهيمن، لقد اعترف الباحث هوغرت بالدور النشط للمتلقي في بناء معنى الرسائل.